Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i1

الهَــويـــةُ في شِعر عَقيِل عَلي

م.م نغم عدنان ناجي
جامعة ذي قار- كلية التربية للعلوم الأنسانية-قسم اللغة العربية
nagam1984@utq.edu.iq

الملخص

شغلت الهوية المدونة الأدبية والنقدية العربية ووقف عندها الأدباء والنقاد بالدرس والتحليل ، كونها انعكاس لتجارب معرفية جذورها متأصلة في الذات الشاعرة المبدعة، إذ اضفى لها هذا الانعكاس والتداخل الشمولية والاتساع الكبير فضلا عن خصوصيتها القارة متى ما استعملت بشكل مستقل من أجل إثبات وجودها المرتبط بطبيعة الحال بذات أو ذوات مختلفة تُريد إثبات هويتها, وهذا الأمر دعاني إلى الخوض في شعر الشاعر (عقيل علي)، الشاعر الذي ينتمي لجيل السبعين ذلك الجيل الذي ترك في خطاباته الشعرية بصمة مميزة، فهو مبدعٌ عندما تظهر هويته الذاتية تغيب تماما هوية الجيل الذي يرتبط به وعندما يقترب من أبناء جيله تظهر هويتهم بشكل واضح ، أي هوية الجيل الذي ينتمي إليه ، مما جعله أيقونة خاصة ولاسيما أن تنوع ظروفه وبيئته ، جعل من الهوية أمر في غاية الأهمية ، لقد حقق البحث مبتغاه الفكري والثقافي ؛ لأنه بحث في المختلف قبل المؤتلف، فجاء بالغريب الذي لا يساير العام السائد عند أبناء جيله فهو من شعراء الذين انمازوا بثقافة ذاتية مختلفة مثلت الصعلكة الأساس الرئيس الذي يبحث في كل غريب وغير سائد مما مثل ثقافة جديدة تمثلها الذات بشكل خاص وتنتمي إليها ، وهي ثقافة تجمع الفكر العربي والغربي على السواء ؛ لأن الغموض سمة غربية استطاع الشاعر توظيفها في شعره ، وهو أيضا من سمات الشعرية الحديثة التي استعملها وإن لم يقصدها بعينها ، لكنها تحققت بشكل أو بآخر في شعر الشاعر مما يعني أن نصوصه الشعرية شعرية حقاً لها هويتها . فجاءت ذاتيه واضحة مقارنة مع أبناء جيله ،أما على مستوى الهوية الجمعية فقد عمل الشاعر على الإفادة الواعية من التراث العربي وإن كان بصورة إيحائية ، وكأنه يحاول العودة إلى التراث ، وهذا من سمات الجيل الذي سايره الشاعر لإثبات هوية الجماعة ، فضلا عن القول في الجانب السوسيولوجي وهو يمثل الجانبين الفردي والجماعي ، مما جعل هوية عقيل علي مختلفة باختلاف نزعاته وطروحاته الشعرية المتمردة.

الكلمات المفتاحية : الهُويّة، الجيل السبعيني، عقيل علي، الصعلكة، التمرد.

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i1

Abstract

The concept of literary and critical Arab identity has been a central concern for Arab writers and critics, who have devoted considerable study and analysis to it. This preoccupation stems from its role as a reflection of cognitive experiences deeply rooted in the creative poetic self. This reflective and interactive nature has imbued it with comprehensiveness and vastness, alongside its inherent specificity when employed independently to assert existence, invariably linked to individual or multiple selves seeking to establish their identity. This phenomenon prompted an exploration into the poetry of Aqeel Ali, a poet belonging to the generation of the seventies, a cohort that left a distinctive imprint on its poetic discourse. He emerges as an innovator: his individual identity eclipses the generational identity he is associated with, while conversely, when he aligns with his peers, their collective identity becomes pronounced. This duality has rendered him a unique figure, particularly given the diversity of his circumstances and environment, which has amplified the significance of identity. This research has successfully achieved its intellectual and cultural aims by prioritizing the exploration of the divergent over the convergent. It has highlighted the unconventional, that which deviates from the prevailing norms of his generation. Aqeel Ali is among the poets distinguished by a unique personal culture, characterized by a foundational "Sa'laka" (vagabondage) ethos that seeks out the unfamiliar and non-dominant, thus forging a new culture uniquely embodied and embraced by the self. This culture synthesizes both Arab and Western thought, as the characteristic of ambiguity, a Western trait, is skillfully employed in his poetry. It also aligns with features of modern poetics, utilized perhaps unintentionally, yet manifested in his work, affirming the genuine poetic nature and distinct identity of his texts. His individualistic expression stands out clearly in comparison to his contemporaries. On the level of collective identity, the poet consciously draws upon Arab heritage, albeit in an evocative manner, seemingly attempting a return to tradition. This aligns with the characteristics of the generation he associated with, serving to establish the group's identity. Furthermore, his work engages with the sociological dimension, encompassing both individual and collective aspects, ultimately rendering Aqeel Ali's identity distinct and shaped by the variations in his rebellious poetic inclinations and propositions.

Keywords:

المقدمة

حظي موضوع الهوية في الدراسات الانسانية بأهمية خاصة ومكانة مميزة ؛ كونها تذهب نحو العناية بدراسة طبيعة حياة الشعوب والأفراد ، والإفصاح بوضوح عن ميزة هامة من ميزات الوجود الإنساني، الا وهو العقل وما يحوي من مزيج من الجوانب النفسية والفكرية ، ويكون ذلك طبعاً من خلال الرصد التاريخي بتتبع مظاهر الثبات والتغير بين الفترات الزمنية المختلفة، ويتقاطع في خضم ذلك العرق والمكان واللغة ، إذ تعد الهوية مطلبا انسانياً ، فالكل يبحث عن هويته ، والكل ينشد تحقيقها في الواقع ، ومايجب تسليط الضوء عليه هو الهوية في الشعر،أذ تنبثق الرموز والإيحاءات التي يبثها الشاعر في نصه ، وهنا ثمة علاقة بين الهوية والشعر ، كلاهما قائمان على الإيحاء والرمز الذي ينشئ دلالاته في الواقع وثمة التقاء آخر هو التواصل ، فالهوية تقوم على فكرة التواصل ، لأنها تقوم على ارساء التفاهم بين المجتمعات وكذلك الشعر ، بوصفه رؤيا الشاعر ، وعن طريقه تنكشف سمات الذات الشاعرة ومحاكاتها للمجتمع، والشاعر (عقيل علي) أفضل من تمثلت الهوية في أشعاره.

المبحث الأول: مفهوم الهوية لغةً واصطلاحاً

الهوية لغة : تصغير هؤة وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة ، وعرشها سقفها المغطى فيها بالتراب فيغتر به واطئة فيقع فيها ويهلك[i]) وفي معجم متن اللغة معنى الهوية أقرب ما يكون إلى الهاوية والهوية : الهوى البعيدة القعر فالمعنى اللغوي للهوية يحوم حول الهاوية أو الهوى والاقرب اليها ، فليس هنالك علاقة تجمعه مع المفهوم الحديث [ii]

فالهوية منتشرة في كل مكان أو متلاصقة مع الذوات والأشياء لكنها بالمقابل غامضة ومتعددة الأوجه ولا يسبر أغوراها ؛ لإنها تتغير في مواضع عدة مع تعدد المعطيات ،

ويذهب (جون جوزيف) إلى المساواة بين الهوية والماهية فيقول : إن هويتك هي بكل بساطة ماهيتك ، وإذا سألك شخص ما : من أنت ؟ فسينتظر منك أن تذكر أسمك ردا على سؤاله [iii] وهذا يعني أن الهوية هي الوجود والماهية والحقيقة والذات ، كما يمكن للمرء أن ينظر للهوية على أنها مجموعة من السمات المميزة والمتعددة والدائمة التي تميز مخلوقا عم مخلوق اخر، وهي ايضا ما يمكن للإنسان أن يصف به الآخرين... فأصف نفسي عندما أتأمل ذاتي بصورة مكثفة ومختلفة ، وبذلك تجعلنا نتعرف على الشخص استنادًا إلى مميزاته الثابتة والخاصة به وحده من دون سواه، بها تعرف ماهيته وأصله ليكون هو نفسه [iv] .

أما (هايدجر) له رأي آخر إذ يرى أن الهوية تتسم بطابع الوحدة (الانسجام) فالوحدة ليست هي الفراغ الذي يدوم, ويستمر في انسجام فاتر بعيداً عن كل علاقة إنما الوحدة التي هي في ذاتها اختلاف أو تنطوي على الآخر في داخل مكنوناتها[v]

الهوية الثقافية :

عُرفت الهوية الثقافية على إنها مجموعة من الملامح والأشكال الثقافية الأساسية الثابتة، " لهذا فهي تعني التناسق بين العقل والهوية عن طريق نبذ التعصب والتطرف العرقي والطائفي في شتّى صوره وأشكاله، وتعرّف أيضاً على إنها مركب متجانس من التصورات والذكريات والرموز والقيم والإبداعات والتعبيرات والتطلعات لشخص ما أو مجموعة ما، وهذه المجموعة تشكّل أمة بهويتها وحضارتها التي تختلف من مكان لآخر في العالم" [vi]. حيث تقسم الى:

1- **الهوية الدينية بوصفها فعلاً تجييلياً :**

جاء ظهور مصطلح الجيل مرتبطا بالحداثة الشعرية وبتطور البنى الاجتماعية في معظم أقطار الوطن العربي، ولاسيما تلك البلدان التي تشكل مراكز ثقافية بامتداداتها التاريخية وجذورها وعلاقتها الممتدة بالآخر الغربي ومنجزاته الفكرية والأدبية، فنجد في الدراسات النقدية توارد مصطلح جيل الخمسينيات والستينيات والسبعينيات ومرت فترة الثمانينيات والتسعينيات دون

أن تتشكل لدينا ملامح جيل كامل النضج بمعناه المعرفي المشدود إلى بيان فني يحدد الأطر الفنية المبنية على متغيرات إجتماعية في سياقنا الحضاري، وكلمة الجيل تطلق على الأديب بصورة عامة سواء كانت روائي او قاص او شاعر. "

إن جيل شعراء السبعينيات هو الجيل الذي بنى نفسه بناءً محكماً رصيناً ورؤى محكمة وقد توافرت لنصه الشعري الأدوات كلها والسمات؛ لتجعله نصاً متماسكاً، يقف مجابهاً للنصوص القديمة, وحاضراً في النصوص التي تلته ؛لأن خطابه ما زال فاعلاً في الساحة الأدبية، وأكثر نضجاً مما سبق مع الاستفادة من كثير من الوسائل والابتكارات والأساليب والتقانات الجديدة واتساع الثقافة الفكرية لكثير من الشعراء " [vii].

ينتمي عقيل علي إلى الجيل السبعيني الذي ينحت في الصخر لكي يولد أشعاراً بنكهة الحروب والفقر والحرمان التي تدور في مجتمعٍ يقف على حافة الهاوية جراء الويلات التي انتابته، فجاء معجمه الثقافي ليستمد معرفته من المعرفة القرآنية الإيحائية:

اشعل أصابعي في مركز البعد تماما

مثل شموع تستيقظ من نومة اهل الكهف

وتنمو مثل ساعات يقال عنها انها قد جنت من الجوع،

مثل ساعات يلتف النهر على خصرها[viii]

يتمحور النص حول فكرة رئيسة هي الإفادة من الجانب الديني ، وكيفية توظيفه بشكل إيحائي، ليكون الأس المعرفي والفكري والثيمة الأساسية التي تحقق هوية الجيل قبل هوية الذات ؛ لأن من سمات الجيل الشعري ، هو توظيف التراث بما يحقق فكراً متعالياً يمكن بوساطته قراءة النص قراءة تأويلية [ix]

لقد حقق النص فكرة توظيف الزمن ليلاقح التراث ، فصورة اهل الكهف تم استدعائها لخدمة الذات الشاعرة فشكلت لقطة دينية ذاتية تجييلة تحتشد بمثابة صور عدة تنطلق للصورة الأصلية التي تتمركز فيها القصيدة بأنموذجها الدلالي السائر نحو إنجاز الفكرة إذ إن الذات الشعرية الساردة وبعد إنجازها لمهمتها في السيطرة على الزمن أخرسنا شهوة الاستطلاع، وشددنا وثاق ليال ما هي ببعيدة ليخرج النص الشعري من حالٍ إلى حال ، فتشكلت القصيدة من طبقتين تجسدان النموذج الإنساني في المدونة الدينية طبقة الخارج وطبقة الداخل, وهما في وضع تعايشي مفارق يعبر عن حكمة الوجود وفلسفته.[x] ، وفي نصٍ آخر يقول:

أفكاري قطط تمسح الغبار

عن أقفاص الملائكة

يا صليب الحملان أين تمضي بهذه الخراف الرئة ؟

بلا مبالاة تنزعين صلبانك الرثة يا بلاد الله،

وتسقطينها على دموع المديح[xi]

يبث النص في طيّاتهِ إسقاطات دينية وروحية، تتجسد في كتابات الشاعر المتصعلك الفقير، إذ الملائكة رمز الطهارة والنقاء قُيدت هي الأخرى في أقفاص وعُطل دورها، بل وحتى الصليب الذي هو رمز للتضحية والفداء، تخلى عن دوره

الحقيقي في تجسيد ماصور له، نرى إن النص مفتوح يعجُ بالكثير من التساؤلات ، التي تدور في مخيلة الشاعر الذي يبحث عن إعادة ترميم القيم والأولويات والثوابت التي تلاشت من وجهة نظره، كي يعيد بناء هيكلها الهرمي من جديد.

يمتلك الجيل السبعيني إيماناً حقيقياً بما يقدمونه، وبما يقومون به من تجريب وتحديث فقدموا نصوصاً شعرية عميقة, واستعملوا الإشارات والرموز في الشعر ، وجنحوا إلى توظيف الدين إيماناً منهم بأن النص يجب أن يكون له أكثر من مستوى للتلقي وانفتاح دائم على آفاق تأويلية متعددة, فالنص الشعري الجيد لا يتسم بالثبات, ولكنه في حالة تغير وتطور وتحول يمكنه من مخاطبة عصور مختلفة وأذواق متباينة وشعوب متعددة, بل وثقافات لا صلة بين بعضها البعض, وهذا نفسه هو ما يدعم فكرة نسبية علاقة النص الشعري بالإطار المرجعي؛ مما يعطيه قوة وصلابة في الشعرية العربية [xii].

2- الصعلكة وأثرها في تشكل الهوية :

يدل مفهوم الصعلكة على الفقر والتمرد على الأوضاع الاجتماعية ثم أتسع فضائها ليشمل المشردين والمنبوذين والمخلوعين الذين خلعتهم قبائلهم، "ثم اتسع ليشكل ظاهرة إجتماعية في المجتمع العربي إذ عرف كبار الشعراء على إنهم من شعراء الصعاليك فشكلوا مجتمعاً مختلفاً ونمطاً من الحياة يكاد يكون جديدا اذ اتخذوا من العزلة والصحراء وطنا لهم وملاذا امناً عن مجتمعات القرى والمدن [xiii].

أما في الشعر العربي الحديث فقد اختلفت الرؤى للصعلكة والصعاليك وطبيعة الحياة التي يرتبطون بها ، فعرف العديد من الشعراء بهذا المصطلح ولاسيما الجيل السبعيني الذي عُرف بالتمرد وبتعبير أدق بالتصعلك على نظام القصيدة واللغة فكانت لديهم رغبة ملحة في إعادة تشكيل القصيدة الشعرية، والانتقال بها من التقليدية والنمطية إلى الحداثة, فجاء شكل القصيدة مدافعاً عن حق الكلمة بما تضمر من مُؤاربة تأويلية ولغوية وايقاعية ، أو ما تحمله من وصف وتصوير لهذه المرحلة المليئة بالاستلاب عبر تهيئة حقول اللغة التي مثلت بديلاً لواقع ثقافي متهرئ [xiv] مثلما مثلت فكراً مختلفاً يرتبط بمفهوم الصعلكة الحديث .

ويُعد عقيل علي خير من مثل الصعلكة والمتمرد على هذا الواقع وهذه الهوية المتصعلكة بكل صورها هاجسا مما حفز الشعراء والمبدعون في التعبير عنها في عوالمهم الشعرية في الشعر العراقي الحديث، فقانون الشعر وعالمه يتجلى فيه كل التناقضات والاختلافات التي تعبر عن نفي الهوية (الصعلكة)، أو إثباتها ، وقد يعمد الشاعر إلى هذه ال(غيرية) لإسباب قد تكون مقصودة من أجل التفرد او التميز في الكتابات والخطابات الشعرية المعاصرة ، فظهرت هويته المتمردة وخطاباته الشعرية المتفردة ، حتى اختلفوا في طبيعة شخصيته وشاعريته، فهو كان " وما زال يشكل شخصية مثيرة للجدل سواء على المستوى الشعري أو السلوكي، حيث وفي مناسبات عدة يفتح سجال الجدل والاختلاف على هذا الشاعر الذي رحل في العقد الأول من القرن الجاري، فتارة يشار له بالبنان الشعري والموهبة الفذة، وفي تارات كثيرة أخرى يكون موضع إتهامات بلا أدلة، على كونه لصاً ماهراً في السرقة الشعرية، وهي التهمة التي ترافع عنها كثير من الشعراء والنقاد ورفضوها جملة وتفصيلا " [xv].

إن العمر الشعري لعقيل علي "يتزامن مع صراعات سياسية طاحنة عصفت بنية المجتمع العراقي، فهو في حركة تغير دائمة لا يستقر على حال أبداً ووجد أن الإنسان هو الخاسر الأكبر في هذا الصراع، عندما مد بصره بعيداً وجد أن المأساة تتكرر بأقنعة مختلفة في كل بقاع الأرض، فحاول أن يمسك بجوهر الصورة المشتركة وأن ينزل إلى الأعماق السحيقة لتلك الحياة؛ ليبصر سرطان السلطة بمختلف أشكالها المقنعة"[xvi]

مدن مفتوحة في المجد.

مدن تشحذ الغضب.

معظم الصيف ساحل السواي

يا قصيدة العائلة أغتسل بالأخ

من أجل فم ينطق بالهاوية

من أجل صباح القشعريرة وهو يتسول بيته.

تلك السماء المضيئة مسها الأصيل[xvii]

بين فضاءات المدن اللامتناهية التي ينخر السواد فجرها السحيق، وهي تغط في سباتٍ عميق، حيث لا منادي في مدن الخراب، سوى الشاعر المتمرد الرافض لواقعٍ أتسم بالظلم والتجريد لينادي بالحرية الإنسانية وبتغيير الواقع والخروج من عتمة الظلام إلى أفق الصباح، لكي ينطلق من ذلك الصباح إلى سماء مفتوحة محفوفة بالضياء الإلهي ، فكان عقيل علي واحداً من شعرائنا المعاصرين الذين في شعرهم مدى ولشاعريتهم وجه يميزها من كل شاعرية، وفي شعره شخصية لا تدغم في شخصية أحد من الشعراء, فإن هذا العمق والتفرد يرجع بالضرورة إلى محور الرفض والتمرد فأعطى لشعره بعداً فنياً جديداً يتجاوز الحياة إلى ما بعد الحياة"[xviii]

" الموجة"[xix]

موجة تتأمل دموعها في مرآة

وأنا أحنو عليها

أحنو على أهوائها .

تسأل

عن بحر

عن شمس،

موجة تتأمل وحدتها في مرآة .

لا يكترث الشاعر المختلف عن توجيه التساؤلات ، والتأملات، آملاً وجود إجابة في ذاته المغايرة لهذا العالم، المتمرد عليه ،إذ يبث في الجماد روح ، من أجل استنطاقها، فتسأله عن بحر؟ وعن شمس؟ وعن دموع؟ التي يلجأ اليها ليصل للمتلقي حجم المأساة والمعاناة التي يعانيها من ذاك الواقع المزري ، فيعمل بوساطة هذا الواقع على تحديد نتاجه الشعري، وهويته التي تتمثل فيها الذات واللغة الرمزية والإيحائية في محاولة منه للخروج عن النمط السائد في الشعر

نلحظ أن الشاعر كان متمرداً على هذا العالم وظواهره، فأراد البوح بهذا التمرد عن طريق الكتابة الشعرية؛ لأن الشعر والتمرد كلاهما ثورة على مقاييس الشكل وعلى حدود المحتوى وعلى حدود الثقافة والنظام الاجتماعي العام، فالشعر والتمرد انخلاع كوني كلي من ربقة أفكار العالم إلى ذاته الحقة بكل ما يعج به من موجودات وأنساق وعلاقات وجودية متعددة، لها ثقل تكراري في الخطاب الشعري يحاول أن يفك مغاليقه ورموزه، ومن ثم يبدد غموضه بقيم تعبيرية لها قوة إيحائية[xx]، وحتى قوة بلاغية حيث إن جملة الخطاب التي يبدأ بها الشاعر (عقيل علي) قصديته يختتم بها هي الأخرى في نهاية الخطاب الشعري، أي إنه يعود لتكرار البداية ليختتم بها قصيدته فمثل هذا النمط من القصائد القصيرة هو ما يدعى بـ (النمط الدائري) أو (الشكل الدائري المغلق)[xxi] أي حين يعود الشاعر إلى نقط البداية كما رأينا في القصيدة السابقة ،باحثاً عن وجوده وانتماءه وهويته، عن طريق توارد الأسئلة .

إن إثارة الأسئلة في الخطاب الشعري هو ما يؤدي إلى البحث عن الهوية عبر الخطاب الذي يؤثث الواقع الهش الذي تخلقه الحروب، أو كلما حدثت خلخلة واهتزاز في الكيان الحضاري لأمة من الأمم أو حتى لفئة اجتماعية داخل المجتمع الواحد ، حينها يبرز على السطح سؤال الهوية عن الثابت والمتغير عن الأصيل والدخيل، فتكثر الآراء وتتعدد التحليلات وتتضارب التأويلات بحسب المنطلقات الفكرية والأيديولوجية والتخصصات والغايات [xxii]

المبحث الثاني: تجليات الهوية السوسيولوجية

تُعد السوسيولوجية منهجاً يعتمد على دراسة العلاقات الاجتماعية وظواهرها في سياقات ثقافية وتاريخية معينة، وينطلق هذا المنهج من فكرة إن الأفراد ليسوا وحدهم في تشكيل هويتهم أو تصرفاتهم، بل هم جزء من مجتمعات أكبر تتشكل فيها الأدوار والتفاعلات الاجتماعية وقيمها ،إذ تشير السوسيولجية في سياق الأدب بكيفية تأثر هذا الجنس الأدبي بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وآلية تعبيره في مضمار تلك الظروف والأحداث [xxiii],

ويحتوي الانتماء الإطار العام الذي يحوي الهوية وعناصرها المتنوعة ؛ فالعلاقة بينهما علاقة وثيقة جداً ومتشابكة ، إذ يدخل الانتماء في كل عناصر الهوية تقريباً، سواء في المكان والزمان أو في العادات والدين والعرق واللغة، ونزيد على ذلك بالقول إنها تدخل في كيفية التعبير بالولاء للجماعة أو النظام السياسي، إذا ما اقترنت تلك العناصر بالانتماء وتحديد ماهية الهوية [xxiv], إذ ترتبط بالقضايا السوسيولوجية الجوهرية المرتبطة في الإنسان ووجوده :

1- الفقر

لا يمكن للشاعر الانفصال عن ذاته وبيئته في مدونته الثقافية إذ نجد ذلك الاتصال في خطابه، والفقر هو الهوية الرسمية للغالبية العظمى من الشعراء وعقيل علي كان اكثر اتصالاً مع هذا الواقع المعيش على المستوى المادي والروحي ، فهو الشاعر المتمرد المتصعلك على واقع أخرق، الذي حاول إن يكتسِ بمظاهر الانكسار والتهشم والعوز والفقر الذي اصبح صديقاً لا مفر منه إلاّ إليه، فحروفه تصدح بفقرهِ وفقر بلادهِ التي توشحت بالسواد الذي أمسى يُخيم على كل مفاصلها بل حتى على شرابها ، وهي دلالة رمزية على انعدام الأمن ومصادرة الحريات ، إذ يثير الشاعر التساؤلات والاستفسارات ، وما من مجيب :

إنها بلادي التي صبرها صبر الفقير الذي يناضل

من أجل غبطته ... وخيبته أيضاً

وأيضاً من أجل العمر الذي يتعجل مراميه .

إنها بلادي يا بلاداً طعمها المياه المسودة، ولها حرية أخرى

يا بلاداً تحدق في فيض من غادروا

وترتجف من قسم عاشق .

يا بلاد أمثال لن يكون لها شاعر

لقد نام الشاعر

ونامت احتمالاته

وسادته حذاء الحقائق . [xxv]

يحاول الشاعر أن يرسم على النص معالم الفقر التي اتسمت بها بلاده ، بل أن معاناة البلاد والفقر كانت واحدة عند الشاعر ، فربط بين الفقر وجوع البلاد وإنعدام الحرية التي أمست متقدمة إلى درجة كثيرة ، بل هي الفكر الثقافي بدا يغيب تدريجياً ولم يبقَ غير الفقر الذي ساد البلاد وبانت ملاحمه واضحة في النفس فكشف " عن القوة الحضورية لعقيل علي وهو يرسم خارطة سرية للغة؛ كي يتوغل فيها عالياً نحو عوالم تتيح له ارتكاب المزيد من صناعة الأوهام للذهاب بعيداً نحو اللامكان, لاسيما أن الفضاءات السياسية في العراق بدت أكثر انهاكاً وقهراً وبالطريقة التي لم تتح للشاعر أن يمارس غوايات هامشه الشعري "[xxvi].

عاش الشاعر عقيل علي حياته الملبدة بالتساؤلات والبحث عن ذاته وعن هويته ، فقد أكلت منه عجاف السنين الكثير من أحلامه الضائعة، فهو الشاعر الفقير (الخبّاز) الذي عانى من العوز وجور الزمن :

حين يبدأ نباح الكلاب سأكتب

مدافئك أيتها المدن

وعلى شواء الأوردة التي تصنع الخبز

سأضعك يا هدأة الجائع

الفجر يستبشر برائحة حبه خوفاً

من ضيوف الليل

والخبز يمسح ذكريات خبزه

يصغي

ليحنو على عرق جبينه تحت أشجار

تعاود النمو

ومنظر العيون الغافية بانتظار الصباح

هو الذي نراه في اندهاش البقايا

الفجر الصعب

يصغي من أجلك يا ابن التعب

ومن أجلك

يمد ذراعيه لتتوسدهما بصيرة

الأشياء .. (xxvii)

يبدأ النص بفكرة جوهرية تمثل هوية الباث ووجوده ، فالشاعر يتعامل مع النص على إنه الوجود الحقيقي له في لحظة ما، إذ يكشف عن مجموعة استفهامات يعيشها كل لحظة ويبوح بها بصوتٍ مسموع إلى القارئ، لكن هذا البوح يختلف عما تعامل به

الآخرون ، منذ الوهلة الأولى التي تمثل هويته الحقيقية وحال لسانه الدائم فهو الخباز المستهدف من الجميع، فهذا الأمر يضعنا أمام صور عدة أهمها ، الاستهداف، الانعزال، الوحدة، الغربة... ، وغيرها من الأمور التي تؤدي إلى منظومة معرفية من الاسئلة ومنها:

هل كان الفقر هويته ؟ هل الاستهداف كان حافزا لديه؟ هل الشاعر يبحث عن أحلامه ؟ إن قصائد (عقيل علي) تضج بالتساؤلات التي تعري واقعاً منكسراً في زمناً معيناً، اللغة عنده تحوز العصيان لا تستكين عند عادة التلقي, هي تلقي برأس الإنصات إلى المفصلة أو تدعوه إلى المزيد من الضجيج والاكتشاف, قد جمع كثيراً من المتناقضات في سلال تجربته الشعرية التي يصعب تماماً فصلها عن بعضها؛ مما شكلَ هويةً واضحة المعالم في مجتمعه.

2- الهوية المفقودة (الطفولة)

العودة إلى عالم الطفولة يمثل خطاباً دلالياً ماضوياً متراكماً من البراءة والحياة "النابضة بالتأمل والقصدية الواعية، لأنه البديل الموضوعي والنفسي للحياة المرئية التي استغرقتها الأشكال الرتيبة القاهرة التي تعاني منها الذات، ومضت بها نحو متاهات الذاكرة والتذكر بالانفتاح على الأشياء والرؤى والقيم الخالصة مع قصدية واعية تبحث عنها الذات في خطاب الذات والمتلقي فالوقوف عندها واستحياء خصائصها ما هي إلا محاولة للخروج من دائرة التاريخ والتخلص من ضغط المأساة، إنها التشبث بالطفولة رمز للتولد والخصب والحنان والصبر كما هي ممثلة في عقل الطفل وخطابه، وحالة اندماج في الوعي الوجودي كما هو مدرك من لدن الذات ومن ثم مدرك من متلق له القابلية على القراءة والتأويل"[xxviii] ،

وفي الخطاب السبعيني المعاصر حنين مختلف الدرجة من التصريح إلى الرمز، إلى عوالم الطفولة التي غادروها صوب النضج والكمال، ومحاولتهم رفض الواقع القائم وللعالم بمعنى أوسع، فهم في خطاباتهم يرفضون عقلنة الواقع وارتباط الأشياء بأسبابها وما تنبئ عنه من سياقات مستقبلية محسوبة ، يحاورون فيها رؤى بعيدة وعالماً قصياً:

الحرب هي الأخرى تضليل لطيران الأطفال

فأتذكر :

ـ وهذا دائماً

بحرية أن نختار

(أتذكر ألعاب أبي تتراشق فيها الأبواب).

لم يكن ذلك الفضاء صباحاً دائماً

كان علينا أن نرتفع بعمق

فهذه ليست الشمس كلها

إن عملية ربط الماضي الطفولي، بالوجود الحاضر قد يرتبط بالبناء اللغوي كون اللغة من المرتكزات التي يتكأ عليها الشاعر في نصوصه الإبداعية؛ كونها وسيلة الاتصال بين المبدع والمتلقي. إذ تعبر عن حقيقة الفرد وماهيته من خلال البحث في مزاجه النفسي وإطاره الاجتماعي والزمني وتحليل نوع عِرقهِ وسلوكهِ الشخصي في التعامل مع الآخرين، لنقف على نتائج هامة في تحليل الهوية، والفرد ليس محدداً عند باحثيها فقد يكون من الأعلام العظماء الذين صنعوا التاريخ أو المجرمين أومن الأطفال الذين مازالوا في طور تكوينها [xxix]

يركز الشاعر على هوية الطفولة بصورة مطلقة، ليستذكر من خلالها طفولته التي تشظت ما بين دخان الحروب، وتهافت انكسار القلوب، فلغة الشاعر عقيل علي تكتنز بكل الأسئلة وكل الفضائح التي تعري واقعاً منكسراً مشوهاً اذ هي دعوة إلى المزيد من الضجيج والاكتشاف، فقد جمع كثيراً من المتناقضات في سلال تجربته الشعرية التي يصعب تماماً فصلها عن بعضها، فإن خطابه مزدحم بأزمات تجد ضالتها بانزياح لغوي متعمد أحياناً وعفوياً أحياناً أخرى، وما يتوالد عنها من أنساق مكلفة بالإيجاز والتداخل إلى حد يستوجب فض الاشتباك، حينما نعمد للتوصل أو تأويل النص على أساس من التقارب مع تجربة المبدع والإحاطة بما هو قابل لذلك [xxx].

نجد الشاعر كثير الأسئلة ويعرض باستمرار أسئلة غامضة, وهو يعلم أن الإجابة أو محاولة الإجابة عنها ستكون أشد غموضاً, ذلك أنه في أسئلته يعود باستمرار إلى البدايات, إلى مناطق الطفولة, طفولة الإنسان وطفولة الكون, وهذه كلها تقع في منطقة الظلمة. فالشعر فن والفن[xxxi] شكل والشكل هو سعي الشاعر المتواصل للوصول إلى أسلوب فردي متميز[xxxii].

هل عاش الشاعر طفولته المهمشة؟ هل عانى الشاعر من أزمات نفسية ؟ هل تعرض الشاعر للاضطهاد السياسي ؟ هل وجد أجابه لتساؤلاته؟

مرثية الطفولة

هذا هو الهواء الذي لا ينسى!

إنني من اللحظة أبتدئ، وفي اللحظة أنتهي

مثلك تماماً في سباق أبدي مضرجاً بالوقت والصحة

الردينة .

أيها الهواء

يا من وحده يحفظ لنا صداقة البلاد، نحن لك وحدك

كنا نقول : تعبنا، ونحن نشاهد خاتمة الأعمى

كنا نقول :

الآن لا ينقصنا غير التاج،

بقليل من السنين سنقتحم الفصول .[xxxiii]

يرثي الشاعر طفولته التي ماان حط ركابه في هذه الحياة، حتى أنعدمت هذه الطفولة كأنهُ لم يعشها يوماً، ينادي مامن مجيب ، لم يجد من إرث الطفولة شياً يُذكر سوى الهواء الذي يشترك فيه الصغير والكبير، والغني والفقير ، نجد هذه الأنا اللجوجة المتقلبة ،التي تبحث عن ذاتها المضطربة في عالم يضج بالتناقضات.

ويمكن أن نصل إلى فكرة مفادها أن تنوع الأشياء في شعر عقيل هو تنوع في الدرجة الأساس مرتبط بالهوية التي حاول إثباتها بجوانب عدة منها الهوية الذاتية التي تعد مغايرة عن أبناء جيله، فهو المتمرد والصعلوك مما يجعل هويته مختلفة ومتنوعة وقابلة للقراءة.

إن البحث في الهوية الثقافية يفتح آفاق القراءة التأويلية بأبعادها الفكرية التي انماز بها الشاعر عن سواه ومن جانب آخر أن الهوية الثقافية كانت متنوعة بما يضمن فكرة التنوع الثقافي المرتبط بالذات الشاعرة وجيلها الذي حاول إثبات هويتهم ، فأصبح التراث جزءاً من هوية الجيل وهويته .

لقد مثلث الهوية الذاتية والهوية التجييلية هوية خاصة مما يعني انفتاح النصوص في ضوء هذه العلاقة التراكمية بين أمرين مختلفين ، بمعنى آخر صراع جديد من أجل أثبات أمر ما ، وهذا الصراع لابد له من أبعاد وفرضيات ونتائج متنوعة ، يجعل من عملية البحث فيها وكأنها محاوله إثبات الهوية على أنها نظرية تغوص في معطيات متنوعة فهو الصعلوك وهو التراث وهو ابن المجتمع الذي مثله بأشكال عدة، ويقيناً أن البحث في الجانب السوسيولوجي هو البحث في المحاور الثلاثة الرئيسة والمشهورة في المناهج السياقية ،الكاتب ، والنص ، وما يحيط به من مؤثرات خارجية، ولهذا جاءت شخصية الكاتب بما تمثله من الحالة الاجتماعية (الفقر) ، ومحاولة العودة إلى الطفولة وذكرياتها ، وهما بطبيعة الحال من الجوانب الاجتماعية الخاصة بالشاعر أولاً وبالجيل الشعري ثانياً ، وهذا الجيل الذي إنماز أيضاً بالعودة إلى الماضي الذي يعد جزءاً من الثرات

الخاتمة

تمثل الهوية الوجود والماهية والحقيقة والذات ، وأهم السمات المميزة والدائمة التي تميز الإنسان ، فهي تجعلنا نتعرف على الشخص استنادًا إلى مميزاته الثابتة والخاصة ، وقد يكون مفهوم الهوية شاملاً ليشمل جيلاً كاملاً يحمل الصفات العامة التي يحملها الآخرون من الجيل نفسه ، كأن تكون صفة تمرد أو فقر، أو صعلكة أو هوية طفولة، وخير من يمثل الهوية بكل تجلياتها هم الشعراء من خلال التساؤلات التي يبثونها، والفرضيات التي يطلقونها، إذ مجرد إطلاق هذه الفرضيات والتساؤلات يتشكل لدينا الانزياح والخرق والغموض ، كما تجلى في نصوص (عقيل علي) لأنه بحث في المختلف قبل المؤتلف وفي الشعرية الحديثة التي استعملها وإن لم يقصدها بعينها ، لكنها تحققت بشكل أو بآخر في شعر الشاعر مما يعني أن نصوصه الشعرية حقاً لها هويتها . فجاءت نصوصه ذاتية واضحة مقارنة مع أبناء جيله . فجاء بالغريب الذي لا يساير العام السائد عند أبناء جيله فهو من الشعراء الذين انمازوا بثقافة ذاتية مختلفة مثلت الصعلكة الأساس الرئيس الذي يبحث في كل غريب وغير سائد مما مثل ثقافة جديدة تمثلتها الذات بشكل خاص وتنتمي إليها بشكل مختلف عن سواها ، فهي قابلة للقراءة والتأويل يتميز شعر عقيل علي بتفرده، إذ تظهر هويته الذاتية بشكل واضح عندما يبتعد عن هوية جيله، وفي المقابل، تبرز هوية الجيل السبعيني عندما يقترب من أبناء جيله ،يوظف عقيل علي التراث العربي في شعره، مما يعكس هوية الجيل الذي ينتمي إليه، وفي الوقت نفسه، يجمع بين الفكر العربي والغربي، ويستخدم الغموض كلمسة غريبة في شعره الذي ينماز بروح الصعلكة والتمرد على الواقع الاجتماعي والتقليدي، مما يمنحه هوية متفردة ومثيرة للجدل بتساؤلاته العميقة حول الوجود والذات والطفولة المفقودة، مما يعكس بحثه عن الهوية في ظل الظروف الصعبة التي يمر بها من معاناة الفقر والظروف الاجتماعية القاسية، ويصورها كجزء من هوية الشاعر والمجتمع الذي يعيش فيه أما اللغة والرمزية: يستخدم عقيل علي اللغة الرمزية والإيحائية في شعره للتعبير عن هويته ورؤيته الفكرية، مما يمنح نصوصه عمقًا دلاليًا.

تتجلى في شعر عقيل علي الهوية السوسيولوجية، حيث يتأثر شعره بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويعكس تفاعلات الأفراد في سياقات ثقافية وتاريخية معينة.

الهوامش

(i) لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة هوى :6/54
(ii) متن اللغة : الشيخ محمد رضا، مطبعة الحياة ، بيروت، 1958 :20
(iii) ينظر اللغة والهوية: ، تر عبد النور خرافي، المجلس الوطني للثقافة والاداب، الكويت،2007: 7
(iv) ينظر البحث عن الهوية وتشتتها في حياة أريك اريكسون، تر: سامر جميل،دار الكتاب الجامعي، ،ط1، 2010،: 15.
(v) ينظر: هايدغر ضد هيجل، عبد السلام عبد العالي ،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت،ط2، 2006 ،84.
(vi) مفهوم الهوية الثقافية: غادة الحلايقة، موقع الكتروني، 13 فبراير، 2018 .
(vii) ينظر الخطاب الشعري في السبعينيات دراسة فنية ودلالية، : د.أحمد الصغير المراغي، تقديم:د. مصطفى رجب، دار العلم والايمان لنشر والتوزيع،ط1، 2009م :47
(viii) جنائن ادم وقصائد أخرى: 52

(ix) ينظر خطاب الاخر...
(x) ينظر تحولات الخطاب الشعري في شعر عقيل علي: 47

[xi] طائر آخر يتوارى:93.
[xii] ينظر تحولات الشعر والواقع في السبعينيات،: صبري حافظ، مجلة الالف، ع11، 1991 :3
[xiii] ينظر البنى السردية في شعر الصعاليك: ضياء غني لفته، ..
[xiv] ينظر تحولات الخطاب في شعر عقيل علي: مسار الناصري:16
[xv] خطاب عقيل علي وتحولاته: عدنان الفضلي: جريدة الصباح:5،7: 2024

[xvi] تحولات الخطاب: 115
[xvii] جنائن آدم: 89
[xviii] تحولات الخطاب:116
[xix] جنائن ادم: 85

[xx] ينظر الاسلوبية الرؤيوية والتطبيق: يوسف أبو عدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، 2010، :194
[xxi] الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: عز الدين أسماعيل، دار العودة ، بيروت،ط3، 1981: 255
[xxii] أزمة الهوية وأشكال بناء الذات: برهان غليون، مجلة مواقف، ع66، دار الساقي،1992: 73-
[xxiii] ينظر سوسيولوجيا المغرب: أحمد شراك، مؤسسة مقاربات للنشر والتوزيع، 2015: 16
[xxiv] ندوة الامة والهوية: ليلى شرف تح د. غسان عبد الخالق، ط1، 30 أيلول 1997 : 32
[xxv] جنائن ادم: 246

[xxvi] تحولات الخطاب في شعر عقيل علي: 22
[xxvii] جنائن ادم: عقيل علي ، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2009: 238
[xxviii] خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: أ.د علي هاشم طلاب، دار البصائر ، بغداد: 274 .
[xxix] ينظر: مدارات المنفتح والمنغلق في التشكيلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية، اراق سعيد ، مجلة عالم الفكر،ع 4، مجلد 36، 2008 ، :215 .
[xxx] ينظر أرتفاع طائر السدى عمودياً: سمير صالح ، عكد الهوا: 7

[xxxii] ينظر بنية اللغة الشعرية: جان كوهين، تر: محمد الولي، دار توبقال ، المغرب، 1986: 46
[xxxiii]جنائن آدم وقصائد أُخرى:3

المصادر والمراجع

- ارتفاع طائر السدى عمودياً: سمير صالح، عكد الهوا ، ملف أبداع، ،ع 4، 2010.
- أزمة الهوية وأشكال بناء الذات: برهان غليون، مجلة مواقف، ع66، دار الساقي،1992
- الاسلوبية الرؤيوية والتطبيق: يوسف أبو عدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2، 2010، .
- البحث عن الهوية وتشتتها في حياة أريك اريكسون، تر: سامر جميل،دار الكتاب الجامعي، ،ط1، 2010 .
- بنية اللغة الشعرية: جان كوهين، تر: محمد الولي، دار توبقال ، المغرب، 1986.
- تحولات الخطاب في شعر عقيل علي: مسار حميد الناصري، 2023،دار السومري.
- تحولات الشعر والواقع في السبعينيات،: صبري حافظ، مجلة الالف، ع11، 1991 .
- جنائن ادم: عقيل علي ، منشورات الجمل، بغداد، بيروت، 2009.
- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: أ.د علي هاشم طلاب، دار البصائر ، بغداد.

- خطاب عقيل علي وتحولاته: عدنان الفضلي: جريدة الصباح.
- سوسيولوجيا المغرب: أحمد شراك، مؤسسة مقاربات للنشر والتوزيع، 2015.
- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: عز الدين أسماعيل، دار العودة ، بيروت،ط3، 1981 .
- لسان العرب: ابن منظور، دار صار، بيروت، مادة هوى :6/54
- اللغة والهوية: جون جوزيف، تر عبد النور خرافي، المجلس الوطني للثقافة والاداب، الكويت،2007.
- متن اللغة : الشيخ محمد رضا، مطبعة الحياة ، بيروت، 1958 .
- مدارات المنفتح والمنغلق في التشكيلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية، اراق سعيد ، مجلة عالم الفكر،ع 4، مجلد 36، 2008 .
- مفهوم الهوية الثقافية: غادة الحلايقة، موقع الكتروني، 13 فبراير، 2018 .
- ندوة الامة والهوية: ليلى شرف تح د. غسان عبد الخالق، ط1، 30 أيلول 1997 .
- هايدغر ضد هيجل، عبد السلام عبد العالي ، دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت،ط2، 2006.